

# تأملات في سورة طه (٤) | فضيلة الشيخ أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي.

أحمد القاضي

يزداد بالاحسان. الله جمله. كما يا رمضان عقد من الايمان يزداد بالاحسان. الله جمله بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين.  
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد. وعلى الله وصحبه اجمعين. اما بعد - 00:00:00

فهذا هو المجلس الرابع من سلسلة مجالس تدبر سورة طه وهو يوافق انتصاف هذا الشهر الكريم ويؤذن بانصرام هذه الليالي الملاح  
والايات السباح. فسأل الله سبحانه وتعالى ان يتقبل منا ومنكم ما - 00:00:36

مضى وان يبارك لنا فيما بقي فمن كان احسن فيما مضى فليزدد. ومن كان قصر فليستعتب انفض اللقاء السابق والمقابلة الاولى بين  
موسى عليه السلام وهارون وبين فرعون عن موعد مضروب ومنازلة قادمة اقتربها فرعون بنفسه وكأنما يسوق نفسه الى حتفه -  
00:00:58

قال فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوی فاهتم موسى عليه السلام الفرصة قال موعدكم يوم الزينة. وان  
يحشر الناس ضحى فاختار المكان المناسب والزمان المناسب - 00:01:32

هذا اللقاء الذي يتيح له ان يسمع دعوة الله تعالى من شاء ما الذي جرى بعد ذلك؟ يقول الله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى.  
اي ان فرعون استنفذ جهده واستفرغ طاقته في حشد الاتباع وخاصة السحر. فانه قال ائتوني بكل - 00:01:52

عليهم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هذا شأن فرعون الذي بيده المكنته الاعلامية والبشرية اما موسى وهارون فلن يصنعوا شيئا. ولم  
يكن بايديهما الا الترقب والانتظار. ودوما ذكر الله الذي امر - 00:02:20

فهمما به بقوله ولا تنبأ في ذكري وحل ذلك الموعد ولكن تتخيلوا ايها الكرام ويا ايتها الكريمات مكانا فسيحا قد اعد للقاء ونصب  
لفرعون المجلس العلي ويحيط به الملا من اتباعه ويصطف الناس - 00:02:40

كما تصطف الجماهير في المدرجات ويقف السحرة الذين ذكر لهم اعداد كبيرة حشدهم من كل في مكان واغراهم وقالوا ان لنا لاجرا  
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين - 00:03:04

فاغراهم بما يشتتهن من لغاية الدنيا هكذا يبدو المشهد. مشهد فتئين متقابلين. فتنة كثيرة تملك السلاح والعتاد والعدة والبريج  
والهيئة واما الفتنة الاخرى فهما رجالان اثنان فقط. موسى وهارون وكأني بموسى عليه السلام يقبل متوكا على عصاه التي ذكرها الله  
في كتابه والى جواره اخاه هارون - 00:03:24

يا لها من مقابلة غير متكافئة فيما يبدو للناظرين. فلما رآهم موسى عليه السلام لم يرع كان رابط الجأش كان قوي القلب كان ممتلئا  
بالثقة بالله والاعتداد بوعده سبحانه. فلما رأى جمعهم لم - 00:03:58

تهتز منه شعرة وقال لهم صائحا بهم ويلكم لا تفترروا على الله كذبا فيساحتكم بعذاب وقد خاب من افترى يا لها من كلمات قوية تصدر  
من قلب واثق موصول بالله عز وجل. يقول مخاطبا هذه الجموع - 00:04:18

عالية هذه الجموع المستكبرة ويلكم يخوفهم ويتهددهم يعظهم الى اللحظة الاخيرة ابراء للذمة اقامة للحججة لا تبتروا على الله كذبا.  
اي فتدعوا ان فرعون رب العالمين وانه الله يعبد فيساحتكم بعذاب. وفي هذا دلالة ايها الكرام على ان من افترى على الله الكذب فان

عقوبته وشيكه - 00:04:38

وعاجلة وشديدة حيث عبر بهذا التعبير فيسحتمكم بعذاب اي انه يستأصلكم من اصلكم وقد خاب من افترى اي والله من كانت  
بضاعته الكذب والافتراء فهو محل للخيبة ما الذي احدثه تلك الكلمة القوية الثقيلة في تلك الجموع المتباهية؟ قال الله عز وجل  
فتنازعوا امرهم - 00:05:09

الله اكبر. هكذا اذا نزلت كلمة الحق بين المبطلين تحدث لهم زلزلة وارياكا لانهم لا يأوون الى ركن شديد ولا يعتمدون على اساس متين  
وانما جمعتهم الشهوات والشهوات والغفلات وغير ذلك. فلما قذف عليهم هذه الكلمة القوية تنازعوا امرهم بينهم -  
00:05:38  
ثم اضطربوا وكأن السحرة لاول مرة يقرع سمعهم كلام موسى عليه السلام. فاحدث لهم هذه الهزة حتى قيل انهم هموا بالتراجع لولا  
ان فرعون حزم عليهم عزم واغراهم بل واكرههم. بدليل ان الله تعالى قال بعد ذلك قالوا -  
00:06:03  
ولن نؤثرك على ما جاءنا من وعلى ما اكرهتنا عليه من السحر. فدل على وجود حلقة من الاكراد. فقد كانوا والله اعلم في مبدأ امرهم  
اه راغبين ومتشوقين وطامعين فلما سمعوا هذه الكلمة من موسى عليه السلام احدث لهم ذلك اه -  
00:06:26  
ردة فعل وتراجعوا لولا ان فرعون اكرههم. ولعل ذلك كان سببا لرحمة الله بهم لاحقا قال الله تعالى فتنازعوا امرهم بينهم. واسروا  
النجوى اي ان الملا منهم تشاوروا فيما يعرف بلغة العصر -  
00:06:48

بصناعة الاعلام والاکاذيب والترويج. وصاغوا عبارات لتسلیکها بين الناس قالوا ماذا؟ قالوا ان هذاني لساحران يريدان ان يخرجواكم  
من ارضكم بسحرهما ويدھما بطريقتكم المثلی اي لابد ان نشيغ في هذه الجموع فكرة معينة تحملهم على التغییظ والنفرة من هذین  
الرجلین مهما كان منطقه -  
00:07:10

مقنعا ومؤثرا. ان لهم مآرب ان لهم مقاصد. انهم يريدون ان يخرجوك من ارضكم التي تألفون وتطمئنون بها. والظرف على هذا الوتر  
يؤثر في حياة الناس. حينما يقال للناس ستفقدون مساكنكم وستطردون -  
00:07:40  
من ارضكم وتخرجون من اه ببلادكم فان هذا لا ريب يحدث لهم اه صدمة. لهذا اه اشاعوا بينهم هذه الدعوة وهذه التهمة قالوا ان  
هذاني لساحران يريدان ان يخرجواكم من ارضكم بسحرهما ويدھما بطريقته -  
00:08:00

المثلی اي يذهب بملككم وبنمط عيشكم وباسلوبكم في الحياة الذي عبر عنه فرعون بقوله اليه ملك مصر وهذه الانهار تجري من  
تحتی خوفوھم بزوال هذه المتع وذهاب هذه البلاد وسموها الطريقة المثلی. وهكذا ادعیاء الحضارة المعاصرة يصفون حیاتھم -  
00:08:20

انها نهاية التاريخ وانها قمة العالم وانها غایة ما وصلت اليه البشرية ويثربون على من سواهم ومن يدعوهם الى سبيل الله تعالى ثم  
حظ بعضهم بعضا وتوافقوا وعقدوا الخناصر على امر فقالوا فاجمعوا كيف -  
00:08:50  
ثم اتوا صفا وقد افلح اليوم من استعنى. صار يشجع بعضهم بعضا. ويحفز بعضهم بعضا. وقالوا لتكون كونوا يدا واحدة ولتأتوا  
قصاری جهودکم دفعۃ واحدة حتى يحصل بذلك النصر وفي الاية دليل على ان الاصطفاف والتعاون والتکائف من اسباب النصر  
والتمکین. لهذا قال الله تعالى -  
00:09:12

ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا کانهم بنيان مرصوص. فهذا امر يدل عليه العقل ويدل عليه لهذا قالوا فاجمعوا کیدکم اي  
مکرکم. ثم اتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلی. اي ان هذا اليوم يوم له -  
00:09:40  
ما بعده. فمن فاز وانتصر وظفر وغنى في هذا اليوم فهو المنتصر حقا حينئذ قالوا لموسى واخیه هارون يا موسى اما ان تلقی واما ان  
تكون اول من القی. وهذا من الغرور الذي يدخلهم کانما يقولون الامر سیان -  
00:10:00  
كل الاحتمالات مفتوحة جميع الخيارات متاحة. نحن واثقون من النصر وان الدائرة لنا. وهكذا المغرور جروا بلسانه الى حتفه تخروا  
فما كان من موسى عليه السلام الا ان اجاب جوابا صارما حاضرا قال بل القوا -  
00:10:22

لننظر ماذا لديکم؟ قال بل القوا فاذا حبالهم وعصیهم يخیل اليهم يخیل اليهم من سحرهم انها تسعي قام هؤلاء السحرة اه لعل اعدل  
الاقوال التي قيلت في عذتهم انهم سبعون بالقاء ما في ايديهم من حبال وعصي. واذا بمشهد عجیب مشهد -  
00:10:43  
زعيم مثير واذا بهذه الحال والعصي تراقص امام موسى وهارون عليهما السلام کأنها حیات تسعي وتتجه اتهامهما ورأى ذلك بعینیه

لكنه تخيل. وهذا هو الفرق بين السحر والحقيقة فان هذا مجرد تخيل - 00:11:08

ولا محوج لما ادعاه وذكره بعض المفسرين وهي نزعة اعتزالية من انهم حشوا هذه العصي وهذه قظبان بالزئق وسخنوا الارض التي تحتها لكي تترافق من جراء وهج الحرارة. هذا مبني على اعتقاد - 00:11:29

المعتزلة بانكار السحر. لا الواقع ان السحر له حقيقة لكن حقيقته مجرد تخيل يا يا يخيل للنااظر ويسمع السامع ويفكر المفكر بطريقه خاطئة من جراء هذا التأثير الشيطاني بخلاف الواقع. لهذا خيل اليه من سحرهم انها تسعى يعني انها حية تسعى. والامر له - 00:11:49

ليس كذلك فما في نفسه خيبة موسى وهذا خوف طبيعي يلحق بني ادم جميعا. فهذا الخوف خوف طبيعي وهذا هو الاولى في تفسير هذه الاية وقال بعضهم فما في نفسه خيبة موسى اي ان يفتر الناس بهذا الامر قبل ان يلقي عصاه - 00:12:19

لكن القرب الذي يدل عليه قوله فما في نفسه ان هذا الخوف داخلاً موسى عليه السلام بحكم بشريته لكن الله تعالى طمأن. فقال الله سبحانه وتعالى قلنا لا تخاف - 00:12:41

انك انت الاعلى. وهكذا المؤمن دوماً له العلو. علو اليمان ولا يجوز ان يفارق المؤمن هذا الشعور بالاستعلاء اليماني. الم يقل الله للمؤمنين اثر غزوة احد وقد اصابتهم هزيمة مادية ولا - 00:12:57

ولا تحزنوا وانتم الاعلون. ان كنتم مؤمنين. فلا ريب ان العلو لا يختلف عن المؤمن حتى وان لحقه شيء من الخسارة المادية. لهذا قال الله له مطمئناً قلنا لا تخاف انك انت الاعلى. والقى - 00:13:17

في يمينك تلتف ما صنعوا. كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتي وتخيلوا مرة اخرى ايتها الكرام ويا ايتها الكريمات ومن بلغ المشهد الناس فاغروا فواههم يحدقون في هذا - 00:13:37

مشهد حياة تسعى واذا بهذا العصا الذي لا يعود ان يكون جذلاً من شجرة يلقيه موسى عليه السلام فيستحيل ثعباناً عظيماً وحية تسعى تلتهم جميع هذه العصي وهذه الحال بمشهد عجيب وآية كبيرة من آيات الله تعالى. فيعجب الناس اشد العجب لهذا الحدث. ويجن جنون فرعون - 00:13:55

لكن هناك طرف اخر كان يرقب المشهد السحرة الذين صنعوا هذا الصنيع وفعلوا هذه الفعلة. ادركوا بان هذا الذي جاء به موسى ليس من جنس صنعتهم ولا من بضاعتهم وانما هو شيء اخر. شيء فوق السحر شيء عظيم لا يطاق لا يمكن ان يأتي به - 00:14:22  
بشر لهذا قال الله عز وجل قال والق ما في يمينك تلتف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر. ولا يفلح الساحر حيث اتي. فالقى هي السحرة سجداً. الله اكبر. هؤلاء السحرة الذين كانوا منتسبين لحرب ويطمعون بالدنيا - 00:14:49

على ظهره ويتمون هلكته ليصلوا الى بعض مبتغاهم اذا هم يخرون سجداً لله عز وجل معظمين له لانهم ادركوا سر القضية قالوا امنا برب هارون وموسى. وانما قدموا هارون على موسى قدم عليه في السياق مراعاة للسجعة - 00:15:12

فقالوا امنا برب هارون وموسى اعلنوا ايمانهم فوراً فجن جنون فرعون الذي حشدهم واغراهم ووعدهم ومناهم. قال امتنتم له قبل ان اذن لكم هذا من غباء الطاغية. يظن الطاغية ان اليمان يحتاج الى استئذان. وانه يحتاج الى رخصة منه. ما علم المسكين - 00:15:36

بان اليمان نور يقع في القلب. يتصل بالله عز وجل. لا يحتاج الى اذن بشر حتى يوقع له او يوافق على ان يقبل او لا يقبل. لهذا قال الله عز وجل حاكياً رد فعل فرعون - 00:16:00

امتنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر هكذا يفعل الطاغية يريد ان ان يفسر لهذه الجموع من الدهماء ما الذي جرى؟ ويسلك بينهم دعوة عريضة زائفة لاجل ان يستيقنهم على طاعته. كما قال الله تعالى فاستخف قومه فاطاعوه. انهم كانوا قوماً فاسقين - 00:16:20

فزعهم زعيمين. قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر. اي انه جرى بينكم وبينه مواطأة واتفاق بحيث تفعلون هذه الفعلة وتظهرون له الموافقة فانتم متآمرون علي. كيف؟ وموسى عليه السلام جاء من ارض - 00:16:48

واوى الى امه واخيه ثم ذهب الى فرعون مباشرة ولم يلقى ساحرا. وكان حديثه مباشرا مع فرعون لم يلقى السحر فكيف يظن بأنه قد تآمر معهم كما ادعى فرعون. ومرة اخرى فان فرعون يطرق على وتر - 00:17:07

الاخرج انه لكتيركم الذي علمكم السحر وقال ان هذا الا لمكر مكرتهم في المدينة لتخرجوها منها اهلها يأتي الى هذه التواхи العاطفية ليثير الدھماء ويحرك العامة ضد الحق. يقول الله عز وجل - 00:17:27

حاکیا کیف استخدم اسلوب الوعید والتهذید والترھیب فلا اقطعن ایدیکم وارجلكم من خلاف ولاصلبکم في جذو النخل ولا تعلمون اینا اشد عذابا وابقی. هکذا اسلوب الطغاة. تقطع الحجج بين ایدیهم. لا يملكون دليلا ولا برهانا - 00:17:48

فیلجماؤن الى البطش تهدد السحرة بأنه سیقطع ایدیهم وارجلكم من خلاف. يعني يقطع اليد اليمنى والقدم اليسرى. او العكس نکایة بهم. ثم يصلبهم في جذو النخل لیراهم كل احد فيختزون. هکذا اراد فرعون مهدا ایاهم - 00:18:09

لکن انى له ذلك؟ قال ذلك كله وهدهم بذلك و Zum باه سیتبین من اشد وابقی فما كان منهم رحمهم الله الا ان قالوا لن نؤثرک على ما جاءنا من البینات والذی فطرنا. فاقض ما انت - 00:18:30

انما تقضی هذه الحياة الدنيا انا امنا برینا ليغفر لنا خطایانا وما اکرھتنا عليه من السحر. والله خیر وعتری لله درهم. الله درهم رحمهم الله في اول النهار كانوا سحرة اشقياء - 00:18:50

وفي اخر النهار صاروا ببرة شهداء لقد فعل بهم فرعون فيما يظهر والله اعلم وعيده. ونفذ فيهم تهذیده. وقطع ایدیهم وارجلكم من خلاف وصلبکم على جذو النخل فباتوا شهداء نعم القرآن العظيم لم يذكر انه فعل ذلك. لكن سکوت الله تعالى عن هذا الامر دليل عليه. ولو كان وقع لهم خلاف - 00:19:09

ذلك لذكره الله تعالى ولورد لهم ذکر في بقیة قصة موسی في خروجه من ارض مصر. فالذی يظهر انهم قضوا بالشهادة العظمی وان يکفر الله عنهم ما مضی وما سلف - 00:19:39

وفي قولهم وما اکرھتنا عليه من السحر دلیل على انهم تراجعوا في وقت من الاوقات فاضطرهم الى ان يمضوا فيما جمعهم لاجره لهذا آآ قالوا هذه الكلمات النبرات التي تدل ایها الكرام على نصاعة الایمان وبشاشته - 00:19:55

واثره في النفوس وان الایمان اذا حل في القلب لم يبالی الانسان باي امر يفوته من الدنيا. لن نؤثرک على ما جاء من البینات والذی فطرنا يعني ولن نؤثرک على الذي فطرنا وهو ربنا سبحانه وتعالی. وقيل ان قولهم والذی فطرنا - 00:20:15 يمین وقسم. يعني والذی فطرنا فاقض ما انت قار يعني افعل ما شئت افعل ما شئت من صنوف التهذید والوعید. اقضی ما انت قاضی وصاری ما يمكن ان تفعله ان تقضی على ارواحنا واجسادنا المادية فقط. انما تقضی هذه الحياة الدنيا. اما ارواحنا فستتنعمق - 00:20:35

وتأوي الى ربها وبارئها انا امنا برینا ليغفر لنا خطایانا. وما اکرھتنا عليه من السحر. ولا ریب ان الشهادة في سبيل الله تکفر كل شيء الا الدين كما قال النبي صلی الله عليه وسلم - 00:20:57

والله خیر وابقی. وکأن هذه الجملة منهم رحمهم الله والله خیر وابقی. في مقابل كلمته ولتعلمن يا اینا اشد عذابا وابقی. فقالوا لهم والله خیر وابقی. فان ما عند الله خیر وابقی - 00:21:15

ثم ولعل هذا من بقیة موعظتهم لفرعون. وربما كان هذا کلاما مستأنفا من عند الله تعالى. انه من يأتي ربی مجرم فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيی. اي لا يموت فيستريح ولا يحيا فيسلم - 00:21:34

حياة طيبة بل يكون کلما نضجت جلودهم بدلناتهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب. هکذا من اتی ربی مجرما واعظم هو الشرک بالله. واما من دخل النار بسبب كبيرة فانه يعذب ما شاء الله وما له الى الجنة. ولهذا جاء في بعض - 00:21:52

حديث ان عصاة الموحدین اذا ادخلوا في النار احترقوا وتفحموا ثم لم يشعروا بشيء حتى ياذن الله فيخرجون ظبائر ظبائر فيلقون في نهر في الجنة يقال له نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حمیل السیل - 00:22:12

يبدل الله جلودهم جلودا غيرها. اما هؤلاء اعني اهل النار الذين هم اهلها كما قال الله عز وجل وسيجنبها العشق ويتجنبها الاشقی اه

الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى. قال الله عز - [00:22:32](#)  
عز وجل ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى. اي والله. الايمان والعمل الصالح. قرينان. وفي هذا رد على المرجنة. الذين يخرجون العمل عن مسمى الايمان لا ايمان بلا عمل. الايمان قول وعمل. من ادعى ايمانا بلا عمل فقد كذب في دعوته.  
انه من يأتي - [00:22:54](#)

ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى. وقد جاء في الحديث ان الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان اهل الجنة يتراوغون اصحاب الغرف كما تتراوغون الكوكب الدري الغابر في الافق - [00:23:19](#)

الله اكبر ان اهل الجنة ليتراوغون اصحاب الغرف كما تتراوغ الكوكب الدري الغابر في الافق. فقال بعض الصحابة يا الله تلك منازل النبيين لا يبلغها الا هم. قال بل هم قوم امنوا بالله وصدقوا المرسلين. فاعلى الجنة هو الفردوس - [00:23:43](#)  
ومنه تفجر انهار الجنة وسقفه عرش الرحمن. نسأل الله تعالى من واسع فضله. قال الله تعالى مبينا العلا جنة عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها. وذلك جزاء من تزكي. اي والله - [00:24:05](#)

الله تعالى حكم عدل مقتسط. لا يظلم مثقال ذرة يجزي المحسن باحسانه. والمسيء باساعته وهكذا ايها الكرام يسدل الستار على هذا الموقف العظيم وهذه الاية الباهرة التي نصر الله تعالى بها عبد موسى - [00:24:25](#)  
اخاه هارون امام هذه الجموع الكثيرة. واظهر الله صدقهما. ولكن ان تتصوروا آآ قدر من امن من جراء ذلك هذه الاية اه علم كذب فرعون وزيت دعوه في الربوبية والالوهية - [00:24:43](#)

والى حديث اخر وصلى الله وسلم على نبينا محمد واله وصحبه اجمعين. تفضل شيخ علي. شيخ اه وبعضهم يقول سحر موسى. ايه هذا كلام باطل. يجري على السنة بعض الجهال. ربما رسم خططا في الارض او فعل حركة - [00:25:02](#)  
اه قال سحر موسى او نحو هذا هذا باطل والعياذ بالله فان هذه دعوة فرعونية. فان فرعون هو الذي زعم هذا الزعم وقال هذان لساحرات وما هما بساحرين بل هما نبيان كريمان ايدهم الله تعالى بالآيات والمعجزات - [00:25:33](#)

- [00:25:52](#)